القول المُحْكَم لإيضاح المُبْهَم في أنّنا نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى عليه السّلام منهم

2022-01-01

الحمد لك يا رب إذ لم تُصْبِح بنا مرتدّين عن دينِنا، ولا منكِرين لربِّنا، ولا مستوحِشين من إيمانِنا، ولا معذَّبين بعذاب الأُمم من قَبلنا، أصبحنا عبيداً مملوكين لك، لك الحُجّة علينا، ولا حُجّة لنا عليك، لا نَقدر أن نأخذ إلا ما أعطيتنا، ولا أن نتّقي إلا ما وقَّيْتنا، نحمدك اللهم ونستعين بك ونستغفرك. وَنَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. أسبغ علينا نعمه، وأفاض لدينا مننه، وأنزل إلينا كتابه الذي فصّل آياتِه فأحكمه وأتقنه، وجعلنا من أتباع شَرْعه. فعلّمنا فروضَه وسُنَنَه، وخصّنا بإرسال أكرم الخلق عليه. وأزكاهم لديه، سيّدنا ومولانا محمد. صلوات الله وسلامه عليه. ونشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. أرسلَه اللهُ بالحجّةِ القاطعةِ، والمعجزةِ السّاطعةِ، والدّعوةِ الجامعةِ، فبلّغَ الرّسالةَ، وأدّى الأمانةَ، ونصحَ الأمّةَ، وكشفَ الغمّةَ، وجاهدَ في سبيلِ اللهِ حتّى أتاه اليقينُ،

محمّدُ المصطفى الهادي لسنّته * أعزِز به من نبيّ في سيادته
الجود والخير طَبْعٌ في جِبِلَّته * يا مُرْتَجين نوالا من عطيّته
صلّوا عليه عليه وزيدوا في محبّته

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدِنا محمّد. طريقِ السعادة البشير النذير. وعلى آله المخصوصين بالشرف وآية التطهير. وصحابته ذوي الجِدّ والإجتهاد والتشمير. صلاة تُعِزّ بها منّا الذليل والحقير. وتشفي بها منّا العليل والضرير. وتدفع بها عنّا عوارض الكسل والعجز والتقصير. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. ها نحن في آخِر جمعة وآخِر يوم من سنة (2021) ميلادية؛ وغدًا إن شاء الله تعالى نستقبل أوّل يوم من (2022) ميلادية. وهي أمرٌ

واقعي نعيشه. ونعيش معه ونعيش به، وأعطيك مثلا: بطاقتك الوطنية يوجد فيها بأنك وُلدتَ عام ألفٍ وتسعمائة وكذا ميلادية، أو عام ألفين وكذا ميلادية، والطلبة يتابعون السنة الدراسية (2020/ 2021) ميلادية، والكل يَعدّ سنوات عمره على السنة الميلادية؛ فراتبك الشهري يأتي إليك حسب دورانها، ولا حرج في ذلك ولا مانع منه شرعا؛ إذن السنة الميلادية هي واقع نعيشه ولا يمكن تجاهله؛ لأنّ الواقع لا يُرتفع كما يقال؛ إذن، كيف نتعايش معها بكيفية لا نقع بها في مخالفة ديننا؟ وما ينبغي للمسلم القيام به في رأس السنة لحماية دينه وإيمانه؟ أيّها المسلمون. وإذا كان النصارى يتحدّثون بهذه المناسبة عن سيّدنا عيسى عليه السلام حسب إيمانهم وعقيدتهم، وإذا كان البعض في هذه الليلة يرتكب ما لم تستطع الحيوانات فِعله، وخصوصًا في ساعة الصفر كما يقولون؛ نعم إنها ساعة الصفر من المروءة. والغَيْرة والعِبرة. والأخلاق والإنسانية؛ وإذا كان هؤلاء كذلك أفلا نتحدّث نحن المسلمون عن سيّدنا عيسى حسب إيمانِنا به. وعقيدتِنا فيه. ونحن أَوْلى بالإهتمام به منهم؟! ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، في الأُولَى وَالآخِرَةِ. قالوا: كيفَ يا رَسُولَ اللهِ؟، قالَ: الأنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فليسَ بيْنَنَا نَبِيٌّ)). بيَّنَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ الأنبياءَ مِثلُ أولادِ عَلَّاتٍ، وهمُ الإخوةُ لِأبٍ واحدٍ مِن أُمَّهاتٍ مُختلفةٍ، ومعنى الحديث أنّ أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متّفقون في أصول التوحيد، وأمّا فروع الشرائع فوقع فيها الإختلاف. كما أنَّ أولادَ العَلَّاتِ أبوهمْ واحدٌ وإنْ كانت أُمَّهاتُهم شَتَّى. أيّها المسلمون. نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى من الذين ألّهوه وعبدوه. وجعلوه نِدًّا للذي خلقه، نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى من الذين زعموا أنه ابن الله. ومخلِّص العالَم، وأنه صُلِب ليُنقذ الناس من خطاياهم، فيَستقبلون ذكرى ميلاده كما في زعمهم بمزيد من الخطايا والآثام.

عجبا للمسيح بين النصـارى* حيث قالوا إنّ الإله أبـوه
عجباً للمسيح بين النصــارى * وإلى أيّ والد نسبوه؟
ثم قالوا ابن الإله إله * ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاءوا بشيء أعجب من ذا * حيث قالوا بأنهم قتلـوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا * إنهم بعد قتله صلبــوه
فإذا كان ما يقولـون حقاً * وصحيحاً فأين كان أبـوه؟
ليت شعــري وليتني * كنت ساعة الصلب أين كان أبوه؟
حين خلّى ابنه رهين الأعـادي * أتراهم أرْضَوْه أم أغضبـوه؟
فلئن كان راضياً بأذاهـم * فاحْمَدوهم لأنهم عذبـوه
ولئن كان ساخطاً فاتركـوه * واعبدوهم لأنهم غلبـوه

أيّها المسلمون. نعم نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى عليه السلام. نتذكّر كونه معجزة في البداية والنهاية. أمّا كونه معجزة في البداية؛ فنتذكّر ولادته وهي معجزة بحدّ ذاتها، حيث كانت أمُّه سيّدتُنا مريم في كفالة نبي الله سيّدنا زكرياء عليهما السلام. فجاءها جبريل عليه السلام وهي تتعبّد في المحراب الذي ((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاء الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا)). فواكه في غير وقتها وفي غير مكانها، وهناك بشّرها جبريل بأنّ الله تعالى سيرزقها بولدٍ سيكون نبيّا ورسولا، دون أن يكون له أب، كما خلق سبحانه آدم دون أب ولا أم، كما قال سبحانه:((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))، وقال تعالى:((وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا)). نعم في البداية؛ نتذكّر أمَّه حين ولدته تحت جِذع نخلة وهي وحيدة بعيدًا عن عيون الناس، كما حكى لنا القرآن الكريم:((فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ)). أيْ: فألجأها ألم الولادة في مكان لا ماء فيه للشرب ولا طعام للأكل. فتمنّت الموت؛ حيث قالت:((يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا))، وهناك توالت عليها المعجزات. وفاجأتها المفاجئات؛ حيث نبع عين من الماء بقربها، وتساقطت عليها الرطب من جذع تلك النخلة التي وَلَدَتْ تحتها، ومن تحتها ناداها مولودها المبارك وهو في مهده قائلا:((أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا))؛ نعم في البداية؛ نتذكّر أمّه حين

جاءت به إلى أهلها بعد ودلاته فاستنكروا عليها بشدّة، وهنا تولّى طفلها الدفاع عنها. فتكلّم وهو في مهده. فكان أفضل محامٍ لها بعد أن أشارت إليه، حيث ترافع عنها فسجّل لنا القرآن عنه هذه المرافعة فقال:((فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)). أيّها المسلمون. نعم نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى عليه السلام. أمّا تذكّرنا كونه معجزة في النهاية. فحين حارب اليهود دعوته. ولم يستطيعوا مواجهة معجزاته. صمّموا على قتله، ولم يقف بجانبه إلا حواريّوه وهم قِلّة، وقد سجّل لنا القرآن هذه الوقفة إذ قال:((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))، وبعد ذلك أرسل أعداؤه شخصا لاغتياله؛ فلمّا انفرد به رفعه الله إليه. ووضع شبَهه على الشخص الذي أراد قتْله، فقتلوا شبيهه وصلبوه. ظنًّا منهم أنه عيسى عليه السلام، وهنا وقعوا في حَيْرة وشكّ وارتياب؛ متسائلين: فإن كان الذي قتلنا هو عيسى فأين صاحبنا؟! وإن كان الذي قتلنا هو صاحبنا فأين عيسى؟! وقد بيّن القرآن الكريم ذلك وأزال حيرتهم لو آمنوا به. فقال سبحانه:((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)). أيّها المسلمون. نعم. نحن أَوْلى بالإهتمام بسيّدنا عيسى عليه السلام. نؤمن بأنه سينزل آخِر الزمان ليَحكم بين الناس بشريعة القرآن، ونتذكّر فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:((واللَّهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، ولَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ، ولَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، ولَتُتْرَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسْعَى عليها، ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتَّباغُضُ والتَّحاسُدُ، ولَيَدْعُوَنَّ إلى المالِ فلا يَقْبَلُهُ أحَدٌ)). ونقف

هنا عند كلمة ((ولَتُتْرَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسْعَى عليها)). والقِلاص هي الإبل، أليست قد تُركت اليوم فلا يُسعى عليها، واستُبدِلت بالسيارات والحافلات وغيرها، فهذا دليل على صِدق هذا الحديث عن نزول عيسى بن مريم حَكَمًا عدلاً، بل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه سيحج ويعتمر. فقال صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه:((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا))، وفَجُّ الرَّوْحَاءِ: إسم مكان بين مكة والمدينة. أيّها المسلمون. إنّ من تأمّل فيما قدّمناه من أَوْلويّتنا بالإهتمام بسيّدنا عيسى عليه السّلام أغناه عن كثير من الكلام في اختصاص الأمّة المحمدية بالمسيح عيسى عليه السلام من بين سائر الأمم، من قبل أن يخترع النصارى هذا التأريخ. ويفترونه متّصلا بالحادثتين المكذوبتين. وهما يوم ميلاد المسيح ويوم صلبه وقتْله. فمولد سيّدنا عيسى عليه السلام الصحيح الحقيقي الواقع. فهو معظَّم عندنا، ومكرَّم، ومذكور قرآن يتلى، ومعتنى به بما لا مزيد عليه؛ فقد احتفى به ربنا تعالى؛ وأنزله قرآنا نتلوه ونردّده طوال العام مئات المرات، وأنّ قصة حمْل السيّدة مريم بعيسى عليهما السلام؛ ثم مولده وما حصل متّصلا بهذه الحادثة؛ هي القصة الوحيدة المذكورة بكاملها في القرآن الكريم لمولد نبيّ من الأنبياء. فذِكر النصارى له مرة في العام؛ وفي وقت مختَرَع لا صِلة له بالحادثة؛ أين هو مِن ذِكر المسلمين له الدائم طول الزمان بتلاوتهم كلام ربهم المحتفِي بالحادثة وصاحبها عليه وعلى أمّه السلام؟ أين قدر هذا من ذاك؟ أيّها المسلمون. فهذا الذي لا يزال النصارى يفعلونه بقَضِّهم وقضيضهم منذ اختراع المجلس الكنسي لهذا التاريخ في عهد البابا الثالث عشر، ماذا يبلغ قدره إلى جانب إلى جانب نزول النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج في الموضع الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام حتى يصلي فيه ركعتين، بتعيينٍ وإرشادٍ من جبريل الذي هو من أعرف الخلق بحوادث الأنبياء والأماكن والأزمنة المتّصلة بهم؟ فما يفعله كل المحتفِلين على اختلاف ألوانهم وطقوسهم؛ لا يبلغ قدر تلك الركعتين المحمديتين في ذلك الموضع الذي وُلد فيه المسيح عليه السلام؟ أيّها المسلمون. اعتبروا رأس السنة يوما كسائر الأيام، لا فرق بينه وبين بقية الأيام إلا بالتقوى، فاحذر أيّها المسلم أن تكون بُوقًا لشعارات الصليبيّين، أو

بَبَغاء تَحكي أقوالهم وأحوالهم؛ فالمسلم ثابت بذاته، مستقلّ بهُويّته، لا يَنساق وراء التبعيّة لغيره، ولا يَنصهر في عادات غيره وثقافته، اللَّهُمَّ إِنّا نسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَنسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، اللهم واجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ولا تجعلنا في عامنا هذا من أهل التفريط والإضاعة. بجاه نبيّك صاحب الحوض والشفاعة. صلى الله عليه وسلم في كل لحظة وساعة. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اهـ